

نفحات القرآن

[324] نحو رحمة الله وتركتمونا في العذاب؟ فيجيبهم المؤمنون "بلى" كنا معكم في مجتمع واحد، في الزقاق وفي السوق، وفي السفر والحضر، وكنا جارا لكم، بل عشنا في بيت واحد، ولكنكم أخطتم خمسة أخطاء فاحشة، الأول أنكم سلكتم طريق الكفر والنفاق ففتنتم أنفسكم (وَلَكِنَّكُمْ أَهَضْتُمْ خَمْسَةً فَاحِشَةً، الْوَلَّ أَنْكُمْ سَلَكْتُمْ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ فَفَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) (وَلَكِنَّكُمْ أَهَضْتُمْ خَمْسَةً فَاحِشَةً، الْوَلَّ أَنْكُمْ سَلَكْتُمْ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ فَفَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) وثانياً، أنكم (تربصتم) وترصدتم فشل المسلمين، وموت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتحججتم في كل عمل خير. وثالثاً (وَأَرَأَيْتُمْ) وترددتم خاصة في مسألة المعاد، وحقانية الاسلام. ورابعاً (وَأَعْرَضْتُمْ) (الْأَمَانِيَّة) التي نسجت حجاباً ضخماً على عقولكم وأفكاركم (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ). وخامساً (وَأَعْرَضْتُمْ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) أي غرکم الشيطان بعفو الله ووعدكم بالأمان عذابه. نعم، إن هذه العوامل معاً أوجدت المنظر الذي صورہ القرآن لنا، وهي التي سببت خلق سور عازل بين المؤمنين والمنافقين. إن شاهد حديثنا هو الجملة الرابعة، حيث جاء فيها (وَأَعْرَضْتُمْ) (الْأَمَانِيَّة)، فإن الأمانى قد تصل الى درجة بحيث تشغل فكر الانسان بالكامل، فيغفل عن كل شيء، ويظل في عالم الوهم والظن، فتعمى عينا، ويثقل سمعه، ويفقد وعيه (إذا كان واعياً)، ويضل في الظلمات التي وضعها بنفسه تائهاً. إن سعة الأمانى قد تصل الى درجة يرسم صاحبها خططا لنفسه لا يمكن تطبيقها حتى لو كان نوحاً في العمر، وقد يقوم بمقدمات أمنية، الكل يعلم بعدم امكانها حتى لو كان قد بدأ بها منذ قرون، وهذا هو حجاب الامانى الذي يحول دون المعرفة.